نماذج تطبيقية في الأمن النفسي
في العلاقة مع اللّه
كما يصورها القرآن الكريم

Applied samples in the psychological safety in relationship with Allah as symbolized in Qur'an

إعداد

الدكتورة

انشراح أحمد توفيق اليبرودي

أستاذ مساعد في التربية الإسلامية – قسم الدراسات الإسلامية

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

جامعة اليرموك، إربد، الأردن

ملخص

يهدف البحث إلى دراسة بعض النماذج التطبيقية في الأمن النفسي في العلاقة مع الله كما يصورها القرآن الكريم، والمتمثلة في عرض نوعين من النماذج: الأول: النماذج الجالبة للأمن النفسي في العلاقة مع الله واشتملت على: نماذج في الدعاء والذكر، أم موسى عليه السلام، سيدنا يونس عليه السلام مع قومه، و سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مع صاحبه في الغار، بالإضافة إلى معركة بدر . والثاني: النماذج السالبة للأمن النفسي في العلاقة مع الله: واشتملت على نموذج أصحاب الجنة و قارون. وقد استخدمت الباحثة المنهج الوصفي بشقيه الاستقرائي والتحليلي، وخلصت إلى ضرورة تفعيل التربية الإيمانية بالعمل والممارسة حيث إنها أساس الأمن النفسي، وذلك من خلال التدرج الممنهج في تنشئة الأجيال عملياً في كافة المؤسسات التربوية.وقد أوصت الدراسة بإجراء المزيد من البحوث المتعمقة في الأمن النفسي في جوانب العقيدة الأخرى.

الكلمات المفتاحية : نماذج تطبيقية، الأمن النفسي، العلاقة مع الله، القرآن الكريم.

Abstract

The research aims to study an applied samples in the psychological safety in relationship with Allah as symbolized in Qur'an out of two types of samples; the first are samples that bring psychological safety which includes: samples of Du'a and Zekr, the mother of prophet Mousa pbuh, prophet Yonos pbuh with his people, and prophet Mohammed pbuh with his companion in the cave and the sample of Badr battle. The second type of samples empties the psychological safety in relationship with Allah, this type includes sample of the people of the garden and Qaron sample. Researcher used the descriptive approach with its two sections; the inductive and the analytical, and concluded that activation the credence upbringing by acting and practicing is necessary as it is the basis of psychological safety in relationship with Allah, and through the systematic gradation in generations upbringing practically in all educational institutions. The study recommended further in-depth research in psychological safety in relationship with Allah in other dogma disciplines.

Key words: applied samples, psychological safety, relationship with Allah, Qur'an.

المقدمة:

الحمد لله المؤمن، والصلاة والسلام على النبي المبشر، وعلى آله وأصحابه من آمَنوا فأمِنوا وسعدوا، وبعد:

فإن الإنسان في ظل التصور القرآني هو محور المنهج. وسعادته وأمنه هو غاية هذا المنهج. ولما كان الطبع البشري يتصف بالضعف عموماً، والمتمثل في بعض صوره بقصور الإدراك، وتأثير الطباع، وإمكان التقلب والتفلت.. جاء منهج خالقه ليجبر هذا الضعف فيه : يهديه إذا ضل، ويرده إلى حالة السواء كلما انحرف.

وأمن الإنسان من كل صور الخوف والقلق والاضطراب والضنك والضيق وغيرها هي صنعة هذا المنهج لا غير؛ بما انفرد به عن كافة المناهج الأرضية البشرية، وبما اختص من خصائص انبثقت عن ربانية مصدره، فهو بعيد عن نقائص البشرية، منزه عن الحاجة صادر عن "الأحد الصمد". ومن هنا كان كمال الأمن في هذا المنهج وحده؛ إذ هو ممن يعلم بمن خلق، ولا يحق لبشر أن ينظر فيه أو يقول فيه رأياً، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (١٧٦) ﴾ [البقرة: ١٧٦].

ومن خصائص الأمن النفسي المترتب على علاقة العبد بخالقه في المنهج القرآني كذلك: شموله لكل مراحل حياة الإنسان: فهو أمن في الدنيا وأمن عند الموت وأمن في الحياة الآخرة. كما أنه أمن قابل للنماء والتزكية إذا اتبعت أسبابه ووسائله-كما تم تفصيله في البحث السابق[1]. ولهذا التميز في الطرح القرآني كان الجدير وحده بتقديم التصور الفكري للأمن النفسي، كما انه المصدر اليقين لتقديم النموذج الحق ليكون دليلاً بيناً على إمكان التطبيق، ورؤية الصورة الواقعية بعيداً عن المثالية المجردة.

أهمية الموضوع وسبب اختياره:

رغم الأزمة النفسية التي يعيشها إنسان هذا الزمان ، ورغم كثرة الأمراض النفسية وتزايدها، إلا ان البشرية ما زالت بعيدة عن الصواب في الطرح، كما أنها تجانب الصواب في التطبيقات. وتحاول هذه

الدراسة التجديد من حيث اعتمادها المنهج الرباني في دراسة النماذج التي تساهم في تقديم البديل.

فإن البحث في النماذج العملية يجعل منها دراسة تطبيقية يمكن الإفادة منها في وضع خطوات عملية تؤسس لصحة نفسية متوازنة يمكن تفعيلها في المؤسسات التربوية والإرشادية ومراكز الصحة النفسية والعلاج النفسي التي تهتم برد المريض إلى الحالة النفسية السوية.

---

[1] **اليبرودي، انشراح أحمد توفيق، (٢٠١٦)، الأمن النفسي في العلاقة مع الله كما يصوره القرآن الكريم،المجلة العربية للدراسات الأمنية، ٦٧/٣٢، ١٦٣-١٩٤.**

مشكلة ا سة سئلتها:

جاءت هذه الدراسة تالية لدراسة سابقة أوصت بها الباحثة، بحثت فيها موضوع الأمن النفسي في العلاقة مع الله من ناحية نظرية من حيث مفهومه وأنواعه وصوره وأبعاده. وأيقنت الباحث ضرورة استكمال هذه الدراسة في الأمن النفسي في العلاقة مع الله من الناحية التطبيقية من خلال دراسة وتحليل بعض النماذج التطبيقية لهذه العلاقة وأثرها في النفس، لحاجة الإنسان الماسة لهذا الطرح؛ لا سيما في ظل الفرض العولمي الذي يزعزع كل عوامل الأمن والاستقرار النفسي. ومن هنا جاءت هذه الدراسة بعنوان: نماذج تطبيقية في الأمن النفسي في العلاقة مع الله كما يصورها القرآن الكريم.

تأسيساً على ما سبق فإن الدراسة الحالية تجيب عن التساؤل الرئيس الآتي: ما هي النماذج التطبيقية في الأمن النفسي في العلاقة مع الله كما يصورها القرآن الكريم؟ ويتفرع منه الأسئلة التالية:

١- ما هي النماذج الجالبة للأمن النفسي في العلاقة مع الله ؟

٢- ما هي النماذج السالبة للأمن النفسي في العلاقة مع الله؟

أهداف الدراسة:

انطلاقاً من مشكلة الدراسة وأسئلتها فإن هدفها الرئيس هو بيان وتحليل بعض النماذج التطبيقية في الأمن النفسي في العلاقة مع الله من خلال القرآن الكريم. ويتفرع عنه:

١- بيان النماذج الجالبة للأمن النفسي في العلاقة مع الله .

٢- بيان النماذج السالبة للأمن النفسي في العلاقة مع الله.

منهج الدراسة:

تقوم هذه الدراسة على المنهج الوصفي بشقيه الاستقرائي والتحليلي، حيث عمدت الباحثة إلى استقراء النصوص القرآنية ذات العلاقة بمفردات الدراسة، وتشخيصها وتحليلها والربط بينها في ضوء أقوال المفسرين، واستخلاص التطبيقات العملية النفسية التي تؤدي إلى تحقيق سعادة الإنسان وأمنه.

مصطلحات الدراسة:

١- الأمن النفسي في العلاقة مع الله: يشير هذا المفهوم إلى: "الشعور النفسي بالسعادة والاطمئنان بجميع صورها، والتي تشكل معايير الصحة النفسية، وانتفاء الشعور النفسي بالمخاوف والشقاوة بجميع صورها، والتي تشكل معايير المرض النفسي. وان هذا الشعور هو لازم الإيمان الجازم بالله معبوداً، ورباً، وبأسمائه وصفاته، كما يصور ذلك القرآن الكريم والسنة المقبولة"[١]

---

[١] مصدر سابق ؛اليبرودي، ٢٠١٦: ١٧٥

٢- النماذج التطبيقية: مقصودها في هذه الدراسة الآيات التي ذكرت مواقفاً أو قصصاً تشير إلى صورة من صور العلاقة مع الله إيجاباً –أي بالإيمان به بحق-، او سلباً –أي بالكفر به أو الشرك معه أو معصيته سبحانه.

ا سا لسابقة:

لا يوجد دراسة مطابقة للدراسة الحالية تحمل نفس العنوان، وتشتمل على ذات المضمون. غير إن هناك بعض الدراسات ذات العلاقة من بعض الجوانب، أهمها:

- دراسة اليبرودي(٢٠١٦)، بعنوان الأمن النفسي في العلاقة مع الله كما يصورها القرآن الكريم.

وقد تناولت الدراسة مفهوم الأمن النفسي في العلاقة مع الله نظرياً وذلك من خلال بيان أنواعه وصوره وأبعاده كما يصورها القرآن الكريم. وخلصت الدراسة إلى أن مفهوم الأمن النفسي لغة وفي ضوء القرآن يرتبط بمفهوم الإيمان بالله سبحانه. وأن أنواع الأمن النفسي وصوره تتسع لتشمل كافة مراحل الحياة. كما خلصت الدراسة إلى أن الإيمان والأمن متلازمان في تحقيق إيجابية المؤمن؛ ويعود ذلك إلى خصوصية الأمن النفسي في العلاقة مع الله في ظل التصور القرآني. وقد أوصت الباحثة بدراسة لاحقة تتضمن البحث في خصائص الأمن النفسي في العلاقة مع الله ، ومهدداته، وبيان بعض النماذج التطبيقية لهذه العلاقة من خلال القرآن الكريم. كما أوصت بإجراء المزيد من البحوث المتعمقة في الأمن النفسي في جوانب العقيدة الأخرى. ويتضح مما سبق ان هذه الدراسة بحثت الجانب النظري للموضوع، والدراسة الحالية تبحث الجانب التطبيقي للموضوع ذاته.

- دراسة نادية سراج جان(٢٠٠٨)، بعنوان: الشعور بالسعادة وعلاقته بالتدين والدعم الاجتماعي

والتوافق الزواجي والمستوى الاقتصادي والحالة الصحية.

ومن بين أهداف هذه الدراسة المتعلقة بموضوع البحث: الكشف عن العلاقة بين الشعور بالسعادة ومستوى التدين. وكان من النتائج المتعلقة بهذا الهدف: توجد ارتباطات دالة موجبة بين السعادة ومستوى التدين. ويتضح فرق الدراسة الحالية في عرضها للنماذج التطبيقية من خلال القرآن الكريم.

- دراسة الجيوسي(١٤٣٠ه)، بعنوان : الأمن النفسي في القرآن الكريم وأثره على فكر الإنسان.

تناولت الدراسة مفهوم الأمن النفسي ومظاهره ومرتكزاته، معززة دور الإيمان في تحقيقه، وتركز الدراسة على ما قدمه القرآن الكريم من نماذج بشرية عبر القصة القرآنية كان الأمن مطلبها، وأخرى فقدت مقومات الأمن فانقلبت حياتها. كما عرضت الدراسة لمقومات الأمن النفسي التي تكمن في التشريعات التي فصلها القرآن الكريم. وتركز على العقيدة الصحيحة في تحقيق الاستقرار النفسي، وتقدم الدراسة نموذجاً عملياً لهذا الاستقرار من خلال الجيل الذي أوجده القرآن الكريم. ويلاحظ من خلال

مفردات هذه الدراسة أنها بحثت في الأمن النفسي عموماً في القرآن الكريم مبرزةً أثره على الناحية الفكرية، بينما اختصت الدراسة الحالية بدراسة النماذج التطبيقية في الأمن النفسي في العلاقة مع الله تحديداً.

مخطط الدراسة: تشتمل الدراسة على مقدمة ومبحثين وخاتمة على النحو الآتي:

المبحث الأول: النماذج الجالبة للأمن النفسي في العلاقة مع الله وتشتمل على المطالب التالية:

المطلب الاول: نماذج في الذكر والدعاء وأثرها في تحقيق الأمن النفسي.

المطلب الثاني: نموذج أم موسى عليه السلام.

المطلب الثالث: نموذج سيدنا يونس عليه السلام مع قومه.

المطلب الرابع: نموذج سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مع صاحبه في الغار.

المطلب الخامس: نموذج الأمن النفسي في معركة بدر .

المبحث الثاني: النماذج السالبة للأمن النفسي: ويشتمل على المطالب التالية:

المطلب الأول: تمهيد

المطلب الثاني: نموذج أصحاب الجنة.

المطلب الثالث: نموذج قارون.

المبحث الأول

النماذج الجالبة للأمن النفسي في العلاقة مع الله

تمهيد :

إن من بدهيات الفكر الإيماني في العقيدة السليمة أن المسلمين يتفاوتون في درجة إيمانهم؛ فالإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي. قال تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) [الأنفال: ٢]. وقال تعالى: (وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ) [التوبة: ١٢٤].

وفي ضوء ذلك تتفاوت مراتب الناس بين مسلم ومؤمن ومحسن. كما أنهم متفاوتون بين أبرار ومقربين وبين هذه المراتب ما لا يحصى الا بعلم الله؛ بناء على درجة تعبد العبد لله سبحانه، وأخذه بالأسباب الموصلة الى المرتبة[1]، تأسيساً على قابلية النفس الفطرية للنماء والتزكية، أو السفول والتدسية.

وبتفاوت درجة الإيمان تتنوّع النفوس إلى: النفس الأمارة بالسوء كثيرة المعاصي قليلة الأمن، ثم ترتقي بالتزكية إلى اللوامة التي تلوم صاحبها على فعل المعصية ويرتقي معها مستوى الأمن ثم يصل مداها إلى الراضية المطمئنة حيث أعلى مستويات الشعور بالسعادة والراحة. يقول ابن تيمية: "النُّفُوسُ ثَلَاثَةُ أَنْوَاع: وَهِيَ (النَّفْسُ الأَمَّارَةُ بالسُّوءِ) التِي يَغْلِبُ عَلَيْهَا اتِّبَاعُ هَوَاهَا بِفِعْلِ الذُّنُوبِ وَالمَعَاصِي. و(النَّفْسُ اللَّوَّامَةُ) وَهِيَ التِي تُذْنِبُ وَتَتُوبُ فَفيها خَيْرٌ وَشَرٌّ لَكِنْ إذَا فُعِلَتْ الشَّرَّ تَابَتْ وَأَنَابَتْ فَتُسَمَّى لَوَّامَةً لِأَنَّهَا تَلُومُ صَاحِبَهَا عَلَى الذُّنُوبِ وَلِأَنَّهَا تَتَلَوَّمُ أيْ تَتَرَدَّدُ بَيْنَ الخَيْرِ وَالشَّرِّ. وَ(النَّفْسُ المُطْمَئِنَّةُ) وَهِيَ التِي تُحِبُّ الخَيْرَ وَالحَسَنَاتِ وَتُرِيدُهُ وَتُبْغِضُ الشَّرَّ وَالسَّيِّئَاتِ وَتَكْرَهُ ذَلِكَ وَقَدْ صَارَ ذَلِكَ لَهَا خُلُقًا وَعَادَةً وَمَلَكَةً. فَهَذِهِ صِفَاتٌ وَأَحْوَال لِذَاتٍ وَاحِدَةٍ وإلا فَالنَّفْسُ التِي لِكُلِّ إنْسَانٍ هِيَ نَفْسٌ وَاحِدَةٌ"[2]. ويتفاوت الناس بإحساسهم بالأمن اطراداً مع درجة علاقتهم مع الله جل جلاله فكراً وسلوكاً. وفيما يلي نماذج شاهدة على ذلك:

---

[1] ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر. (١٩٩٦م). مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (ط٣،ج٢)، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي، بيروت: دار الكتاب العربي ، ص١٥٨.

[2] ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد. (١٩٩٥م). مجموع الفتاوى (ج٩) تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، المدينة النبوية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ص ٢٩٤.

المطلب الأول

نماذج في الأدعية والأذكار، وأثرها في تحقيق الأمن النفسي

تمهيد:

قال تعالى: (َالَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) [الرعد: ٢٨]. و"ذِكْرَ اللَّهِ هَاهُنَا القُرْآنُ. وَهُوَ ذِكْرُهُ الذِي أَنْزَلَهُ عَلَى رَسُولِهِ. بِهِ طُمَأْنِينَةُ قُلُوبِ المُؤْمِنِينَ. فَإِنَّ القَلْبَ لَا يَطْمَئِنُّ إلا بالإِيمَانِ وَاليَقِينِ. وَلَا سَبِيلَ إلى حُصُولِ الإِيمَانِ وَاليَقِينِ إلا مِنَ القُرْآنِ. فَإِنَّ سُكُونَ القَلْبِ وَطُمَأْنِينَتَهُ مِنْ يَقِينِهِ. وَاضْطِرَابَهُ وَقَلَقَهُ مِنْ شَكِّهِ. وَالقُرْآنُ هُوَ المُحَصِّلُ لِلْيَقِينِ، الدَّافِعُ لِلشُّكُوكِ والظنون وَالأَوْهَامِ، فَلَا تَطْمَئِنُّ قُلُوبُ المُؤْمِنِينَ إلا بِهِ"[1] إيماناً في القلب وعملاً بالجوارح كالصدق والبر وغيرها، فقد جاء في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "دَعْ مَا يَرِيبُكَ الى مَا لاَ يَرِيبُكَ، فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ، وَإِنَّ الكَذِبَ رِيبَةٌ"[2]. "أي الصِّدْقُ يَطْمَئِنُّ اليْهِ قَلْبُ السَّامِعِ. وَيَجِدُ عِنْدَهُ سُكُونًا اليْهِ. وَالكَذِبُ يُوجِبُ لَهُ اضْطِرَابًا وَارْتِيَابًا"[3]. وَمِنْهُ قَوْلُهُ: صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «البرُّ مَا اطْمَأَنَّ اليْهِ القلبُ» أيْ سَكَنَ اليْهِ وَزَال عَنْهُ اضْطِرَابُهُ وَقَلَقُهُ".[4]

وحقيقة الدعاء استشعار القلب بالصلة المباشرة مع الله، قال تعالى: (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ) [البقرة: ١٨٦]، وَالقرب يُنَاسِبُ الإِمْدَادَ بِسَمْعِ الدُّعَاءِ وَإِجَابَتِهِ وَهِيَ مِنْ مُتَعَلَّقَاتِ القُدْرَةِ وَالرَّحْمَةِ، وَالغَرَضُ مِنْهُ تَقْرِيرُ تَوْحِيدِ العِبَادَةِ. و(أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ) مِنْهُمْ بِنَفْسِي مِنْ غَيْرِ وَاسِطَةٍ (إِذَا دَعَانِ) وَتَوَجَّهَ اليَّ وَحْدِي فِي طَلَبِ حَاجَتِهِ؛ أيْ: يَجِبُ أَنْ يُدْعَى وَحْدَهُ بِدُونِ وَاسِطَةٍ ؛ لِأَنَّهُ هُوَ الذِي خَلَقَ الإِنْسَانَ وَيَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ بِدُونِ وَاسِطَةٍ، وَهُوَ الذِي يُجِيبُ دَعْوَتَهُ وَحْدَهُ بِدُونِ وَاسِطَةٍ تُعِينُهُ أَوْ تُسَاعِدُهُ أَوْ تَنُوبُ عَنْهُ فِي الإِجَابَةِ وَقَضَاءِ الحَاجَةِ أَوْ تُؤَثِّرُ فِي إِرَادَتِهِ، فَاللهَ تَعَالى قَرِيبٌ مِنْ عِبَادِهِ المُتَوَجِّهِينَ اليْهِ، فَلَا حَاجَةَ بِهِمْ الى الصِّيَاحِ بِتَكْبِيرِهِ وَدُعَائِهِ،

---

[1] ابن قيم الجوزية؛ مصدر سابق، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (ط٣،ج٢)، ص٤٨٠.

[2] ٣٢. الترمذي، أبي عيسى محمد بن عيسى. (١٩٩٨م). الجامع الكبير - سنن الترمذي (ج٤) تحقيق أحمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، ص ٦٦٨ (بب٣٥، حيث ٢٥١٨).صححه الألباني

[3] ابن قيم الجوزية؛ مصدر سابق.

[4] ابن حنبل، احمد. (١٩٩٩م). مسند الإمام احمد بن حنبل (ط٢،ج٢٩)، مؤسسة الرسالة، ص ٥٢٨، حيث ١٨٠٠١.

وَلَا الى أَنْ يَتَّخِذُوا وُسَطَاءَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ فِي التَّوَجُّهِ اليْهِ وَسُؤَالِ رَحْمَتِهِ وَفَضْلِهِ، بَلْ يَجِبُ أَنْ يَصْمُدُوا اليْهِ وَحْدَهُ، فَإِنَّهُ هُوَ الذِي يُجِيبُ دُعَاءَهُمْ وَحْدَهُ[1].

ويلجأ العبد الى الدعاء في كافة أحواله فيسعد قلبه بلذة عبوديته لخالقه، قال تعالى: (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) [غافر: ٦٠]، وإذا لجأ العبد الى هذا الركن العظيم مستنزلا معاني أسمائه جل وجلاله وصفاته العليا على قلبه يرى أثرها مجسدا ماثلا أمامه في صورة شفاء من مرض أو نصر على عدو أو توفيق الى صواب أو هداية ابن شارد عن الحق أو نصرة مظلوم، أو تثبيت على الحق أو ارتقاء إلى مقام أعلى. فلا عجب بعد ذلك أن يوصف الدعاء بأنه مخ العبادة.

والدعاء اختبار لحقيقة التوكل على الله جل جلاله بمعناه الإيجابي الذي يدفع المؤمن لاستفراغ جهده في الكشف عن كافة قوانين الله الموصلة إلى الهدف، بحثاً يوازي إيمانه الجازم بالموجد الحقيقي والفاعل المطلق الذي يصدر عنه كل قانون وكل فعل، فيتعلق قلبه بالحكمة المطلقة لتفيض على قلبه رضىً واستقراراً وأمناً.

غير أن للدعاء فهم منهجي غاب عن واقع الأمة اليوم، فراحت تستنزل الهداية والنصر والرزق والأمن مع قصورها وعجزها وتخاذلها وجهلها في قوانين ربها وسننه. فلما دعا نوح النبي عليه السلام ربه أن ينجي ابنه نهاه عن مسألة الجاهل، قال تعالى:" وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ (٤٥) قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٤٦) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ" (هود:٤٥-٤٧)

"وَهَذَا النَّهْيُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ يُشْتَرَطُ فِي الدُّعَاءِ أَنْ يَكُونَ بِمَا هُوَ جَائِزٌ فِي شَرْعِ اللهِ وَسُنَنِهِ فِي خَلْقِهِ، فَلَا يَجُوزُ سُؤَالُ مَا هُوَ مُحَرَّمٌ وَمَا هُوَ مُخَالِفٌ لِسُنَنِ اللهِ الْقَطْعِيَّةِ بِمَا يَقْتَضِي تَبْدِيلَهَا، وَلَا تَحْوِيلَهَا وَقَلْبَ نِظَامِ الْكَوْنِ لِأَجْلِ الدَّاعِي، وَلَكِنْ يَجُوزُ الدُّعَاءُ بِتَسْخِيرِ الْأَسْبَابِ، وَتَوْفِيقِ الْأَقْدَارِ لِلْأَقْدَارِ، وَالْهِدَايَةِ إِلَى الْعِلْمِ بِالْمَجْهُولِ مِنَ السُّنَنِ وَالنِّظَامِ، مَعَ مَا يُؤَدِّي إِلَى ذَلِكَ مِنَ الْأَعْمَالِ"[2].

ولقد جسد أنبياء الله عليهم السلام عقيدة الذكر والدعاء حياة واقعية جمعت بين حركة الجسد في الأخذ بكافة الأسباب البشرية طاعة لله، مع يقين القلب وتعلقه برب الأسباب كلها. وفيما يلي بعض النماذج التطبيقية لبعض الأدعية والأذكار الجالبة للأمن النفسي من خلال سورة الأنبياء :

١- دعاء سيدنا أيوب عليه السلام:

---

[1] الحسيني، محمد رشيد بن علي. (١٩٩٠م). تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) (ج٢)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص ١٣٦.

[2] رضا ١٩٩٠م:٧٢/١٢

يمثل هذا النموذج ارتباط الأمن النفسي بعلاقة العبودية العملية مع الله سبحانه في حالات الضعف الإنساني الذي تخرج فيه القدرات البشرية عن حدود وسعها، فتذعن لطلاقة القدرة الإلهية راضية مطمئنة.

قال تعالى: (وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٨٣) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ (٨٤))

سيدنا أيوب نموذج العابد الصابر؛ يعلمنا تكاليف العبادة وتكاليف العقيدة وتكاليف الإيمان وأن الأمر جد لا لعب، كما جاء في وصفه في قوله تعالى: إِنَّا وَجَدْنَاهُ صابِراً نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ " [ص:٤٤]. وهو في دعائه لا يزيد على وصف بلائه: «أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ» .. ووصف ربه بصفته: «وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ» . ثم لا يدعو بتغيير حاله، صبرا على بلائه، ولا يقترح شيئا

على ربه، تأدبا معه وتوقيرا. فهو نموذج للعبد الصابر لا يضيق صدره بالبلاء. وفي اللحظة التي توجه فيها أيوب إلى ربه بهذه الثقة وبذلك الأدب كانت الاستجابة، وكانت الرحمة، وكانت نهاية الابتلاء: «فاسْتَجَبْنا لَهُ فَكَشَفْنا ما بِهِ مِنْ ضُرٍّ، وَآتَيْناهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ»[1]

وليعلم كلُّ عابد أخلص عبادته لله تعالى، أنه إذا مسَّه ضُرٌّ أو كَرْب ولجأ إلى الله أجابه الله إلى ما يريد، وأعطاه فوق الإجابة نافلة أخرى، وكأن ما حدث لنبي الله أيوب نموذج يجب أن يُحْتَذَى[2]. وأصل العبودية امتثال أَمْرَ اللَّهِ واجتناب نَهْيه، فَإِنَّ مِمَّا أَمَرَ بِهِ اللَّهُ الصَّبْرَ عَلَى مَا يَلْحَقُ الْمَرْءَ مِنْ ضُرٍّ لَا يَسْتَطِيعُ دَفْعَهُ لِكَوْنِ دَفْعِهِ خَارِجًا عَنْ طَاقَتِهِ فَخُتِمَ بِخَاتِمَةِ أن فِي ذَلِك لآيَات للعابدين[3]. مما يؤكد أن العبودية الصادقة لله سبحانه وإن كانت تكاليفها قد تشق على النفس في بداية المسير إلا إنها أمن للإنسان وطمأنينة حقيقية ذلك انها في كل مفرداتها العلمية والعملية منسجمة مع نداءات الفطرة السليمة متصالحة معها، قال تعالى:(فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) [الروم: ٣٠].

٢- دعاء سيدنا يونس عليه السلام:

إن مقتضى البشرية النقص لا محالة، وقد يأتيها الهم والقلق والخوف من هذا الوجه، ومن جهة المؤاخذة عليه إن كان مؤمناً، فإذا انجبر هذا النقص بالاتصال بجهة الكمال المطلق، كمال القدرة بالتسيير والتدبير، وكمال الرحمة بالعطف والعفو، مع التزام القلب والجوارح بحقيقة العبودية، انزاح الهم وتبدد الخوف وسكنت النفس، وهذا عين ما حصل مع سيدنا يونس عليه السلام في مسيرته مع قومه: قال تعالى: (وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ

---

[1] قطب، سيد. (١٤١٢هـ). في ظلال القرآن (ط١٧). بيروت: دار الشروق، ص ٣٩٨٣.

[2] الشعراوي، محمد متولي. (١٤١٨هـ). الخواطر (ج١٥)، مطابع أخبار اليوم، ص ٩٦١٨.

[3] ابن عاشور، محمد الطاهر.(١٩٨٤).التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر – تونس.

سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ (٨٨))

لقد ضاق صدر يونس عليه السلام من قومه فخرج مغاضبا من غير إذن "هَارَبَا مِنَ الْبَلَدِ الَّذِي أُوحِيَ إِلَيْهِ فِيهِ قَاصِدًا بَلَدًا آخَرَ تَخَلُّصًا مِنْ إِبْلَاغِ رِسَالَةِ اللَّهِ إِلَى أَهْلِ (نِينَوَى)، وَلَعَلَّهُ خَافَ بَأْسَهُمْ وَاتَّهَمَ صَبْرَ نَفْسِهِ عَلَى أَذَاهُمُ الْمُتَوَقَّع".[١]، فلما وقع في الكرب ظن أن الله لن يضيق الله عليه، بل سيوسع عليه ويبدله مكاناً خيراً من قريته؛ لأنه يعلم أنه رسول من الله، وأن ربه لن يُسلْمه، ولن يخذله، ولن يتركه في هذا الكرب.[٢] "فاستغاث قائلاً: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين". وَتَقْدِيمُهُ الِاعْتِرَافَ بِالتَّوْحِيدِ مَعَ التَّسْبِيحِ كَنَّى بِهِ عَنِ انْفِرَادِ اللَّهِ تَعَالَى بِالتَّدْبِيرِ وَقُدْرَتِهِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ.[٣]. وهنا تتحقق ثمار العبودية الجالبة للأمن، وتتحصل النجاة الفعلية من الغم الذي هو فيه، ليس لنبي مثله فحسب، بل لكل مؤمن تتوافر فيه معاني العبودية وفاعليتها التي تمثلت في نموذج يونس عليه السلام.

فالمؤمن يتقلّب بين أحوال عدة منها: الخوف سواء الخوف أنْ يفوته نعيم الدنيا، أو الخوف من جبار يهدده، وقد يشعر بانقباض وضيق في الصدر لا يدري سببه وهذا من الغَمِّ، وقد يتعرض لمكر الماكرين، وكَيْد الكائدين، وتدبير أهل الشر. هذه كلها أحوال تعتري الإنسان، ويحتاج فيها لمَنْ يسانده ويُخرجه مما يعانيه، فليس له حَوْل ولا قوة، ولا يستطيع الاحتياط لكل هذه المسائل.[٤]

٣- دعاء سيدنا زكريا عليه السلام:

إن من دواعي الأمن النفسي عند الإنسان أمنه على نفسه وماله وولده، وإشباع حاجاته الفطرية من حب الخلود والتملك...وغيرها. وفي دعاء سيدنا زكريا نموذج لذلك، قال تعالى: (وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ (٨٩) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ (٩٠))

ولما كان حاصل أمر يونس عليه السلام أنه خرج من بطن لم يعهد الخروج من مثله، عطف عليه قصة زكريا عليه السلام في هبته له ولداً من بطن لم يعهد الحمل من مثله في العقم واليأس تقريراً للقدرة التامة فقال: {وزكريا} أي اذكره {إذ نادى ربه} نداء الحبيب القريب فقال: {رب} بإسقاط أداة البعد {لا تذرني فرداً} أي من غير ولد يرث ما آتيتني من الحكمة. (البقاعي، دت)

"وَجُمْلَةُ وَأَنْتَ خَيْرُ الْوارِثِينَ ثَنَاءٌ لِتَمْهِيدِ الْإِجَابَةِ، أَيْ أَنْتَ الْوَارِثُ الْحَقُّ فَاقْضِ عَلَيَّ مِنْ صِفَتِكَ الْعَلِيَّةِ شَيْئًا. وَقَدْ شَاعَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ذِكْرُ صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ عِنْدَ

---

[١] مصدر سابق؛ ابن عاشور: ١٧٣/٢٣

[٢] الشعراوي، ١٩٩٧م

[٣] مصدر سابق؛ ابن عاشور: ١٣٢/١٧

[٤] الشعراوي، ١٩٩٧م؛ مصدر سابق.

سُؤَالِهِ إِعْطَاءَ مَا هُوَ مِنْ جِنْسِهَا، كَمَا قَالَ أَيُّوبُ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ [الْأَنْبِيَاء: ٨٣]".[1]

{فاستجبنا له} بعظمتنا وإن كان في حد من السن لا حراك به معه، وزوجه في حال من العقم لا يرجى معه حبلها، فكيف وقد جاوزت سن اليأس، ولذلك عبر بما يدل على العظمة فقال: {ووهبنا له يحيى} وارثاً حكيماً نبياً عظيماً {وأصلحنا له} خاصة من بين أهل ذلك الزمان {زوجه} أي جعلناها صالحة لكل خير، خالصة له ولا سيما لما مننا عليه به من هذه الهبة بعد أن كانت بعقمها وكبرها غير صالحة له بوجه يقدر عليه غيرنا. (البقاعي، دت)

وجماع الأسباب الجالبة للأمن النفسي أشير إليها في قوله تعالى: إِنَّهُمْ كانُوا يُسارِعُونَ فِي الْخَيْراتِ وَيَدْعُونَنا رَغَباً وَرَهَباً "وَكانُوا لَنا خاشِعِينَ" جُمْلَةٌ وَاقِعَةٌ مَوْقِعَ التَّعْلِيلِ لِلْجُمَلِ الْمُتَقَدِّمَةِ فِي الثَّنَاءِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ الْمَذْكُورِينَ، وَمَا أُوتُوهُ مِنَ النَّصْرِ، وَاسْتِجَابَةِ الدَّعَوَاتِ، وَالْإِنْجَاءِ مِنْ كَيْدِ الْأَعْدَاءِ، وَمَا تَبِعَ ذَلِكَ، ابْتِدَاءً مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: وَلَقَدْ آتَيْنا مُوسى وَهارُونَ الْفُرْقانَ وَضِياءً [الْأَنْبِيَاء: ٤٨] . فَضَمَائِرُ الْجَمْعِ عَائِدَةٌ إِلَى الْمَذْكُورِينَ. وَحَرْفُ التَّأْكِيدِ مُفِيدٌ مَعْنَى التَّعْلِيلِ وَالتَّسَبُّبِ، أَيْ مَا اسْتَحَقُّوا مَا أُوتُوهُ إِلَّا لِمُبَادَرَتِهِمْ إِلَى مَسَالِكِ الْخَيْرِ وَجِدِّهِمْ فِي تَحْصِيلِهَا. وَأَفَادَ فِعْلُ الْكَوْنِ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ دَأْبَهُمْ، وَالْمُسَارَعَةُ: مُسْتَعَارَةٌ لِلْحِرْصِ وَصَرْفِ الْهِمَّةِ وَالْجِدِّ لِلْخَيْرَاتِ، أَيْ لِفِعْلِهَا، تَشْبِيهًا لِلْمُدَاوَمَةِ وَالِاهْتِمَامِ بِمُسَارَعَةِ السَّائِرِ إِلَى الْمَكَانِ الْمَقْصُودِ الْجَادِّ فِي مَسَالِكِهِ.[2]

والمسارعة في فعل الخيرات عندهم مجتمع مع صورتين أخريين من أدق وأرفع صور العبودية لله عز وجل:

الأولى: الدعاء الدائم رغبةً ورهبةً. وقد فسر الطبري الدعاء هنا بمطلق العبادة، يقول:" وعنى بالدعاء في هذا الموضع: العبادة، كما قال (وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربي عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقيا) ويعنى بقوله (رَغَبا) أنهم كانوا يعبدونه رغبة منهم فيما يرجون منه من رحمته وفضله (وَرَهَبا) يعني رهبة منهم من عذابه وعقابه، بتركهم عبادته وركوبهم معصيته"[3](الطبري، ٢٠٠م: ٥٢١/١٨).

والثانية: الخشوع لله عز وجل:

وقوله (وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ) أي: متواضعين متذللين، ولا يستكبرون عن عبادتنا ودعائنا. وفي مدارج السالكين الخشوع: "يعني قِيَامُ الْقَلْبِ بَيْنَ يَدَيِ الرَّبِّ بِالْخُضُوعِ وَالذُّلِّ، وَالْجَمْعِيَّةِ عَلَيْهِ. ومِنْ مُوجِبَاتِ الْخُشُوعِ الِانْقِيَادُ لِلْحَقِّ، وَمِنْ عَلَامَاتِهِ أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا خُولِفَ وَرُدَّ عَلَيْهِ بِالْحَقِّ اسْتَقْبَلَ ذَلِكَ بِالْقَبُولِ وَالِانْقِيَادِ[4].

---

[1] ابن عاشور، مصدر سابق: ١٣٥/١٧

[2] ابن عاشور، ١٩٨٤

[3] الطبري، محمد بن جرير. (٢٠٠م). جامع البيان في تأويل القرآن (ط١،ج١٨)، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ص٥٢٢.

[4] ابن القيم، مصدر سابق؛ مدارج السالكين: ٥١٦/١

المطلب الثاني

الأمن النفسي من خلال سورتي الفلق والناس

إذا كان جلب الخير للإنسان من أسباب سعادته فإن توقي الضرر ودفعه كذلك مما يجلب له الشعور بالأمن والطمأنينة، ولتحقيق ذلك شرع للمؤمن التحصن بالله والالتجاء إليه والتعوذ به من كل شر يتوقع من ذي شر كما جاء في المعوذتين . عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا اشْتَكَى يَقْرَأُ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ وَيَنْفُثُ، فَلَمَّا اشْتَدَّ وَجَعُهُ كُنْتُ أَقْرَأُ عَلَيْهِ وَأَمْسَحُ بِيَدِهِ رَجَاءَ بَرَكَتِهَا».[1] وعَنْهَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «كَانَ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ نَفَثَ فِي يَدَيْهِ، وَقَرَأَ بِالْمُعَوِّذَاتِ، وَمَسَحَ بِهِمَا جَسَدَهُ».[2] وعنها أيضا : «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا مَرِضَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهِ نَفَثَ عَلَيْهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ، فَلَمَّا مَرِضَ مَرَضَهُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، جَعَلْتُ أَنْفُثُ عَلَيْهِ وَأَمْسَحُهُ بِيَدِ نَفْسِهِ، لِأَنَّهَا كَانَتْ أَعْظَمَ بَرَكَةً مِنْ يَدِي»[3]. قال ابن عاشور:" وَجَاءَ فِي كَلَام بَعْض الصَّحَابَةِ تَسْمِيَتُهَا مَعَ سُورَةِ النَّاس «الْمُعَوِّذَتَيْنِ» .رَوَى أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَأَحْمَدُ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: «أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ أَقْرَأَ بِالْمُعَوِّذَاتِ" (بِكَسْرِ الْوَاوِ الْمُشَدَّدَةِ وَبِصِيغَةِ الْجَمْعِ بِتَأْوِيلِ الْآيَاتِ الْمُعَوِّذَاتِ، أَيْ آيَاتِ السُّورَتَيْنِ). وَفِي رِوَايَةٍ: «بِالْمُعَوِّذَتَيْنِ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ» . وَوَصْفُ السُّورَةِ بِذَلِكَ مَجَازٌ يَجْعَلُهَا كَالَّذِي يَدُلُّ الْخَائِفَ عَلَى الْمَكَانِ الَّذِي يَعْصِمُهُ مِنْ مُخِيفِهِ أَوْ كَالَّذِي يُدْخِلُهُ الْمَعَاذَ. كما ثبت انها علاج من السحر والعين؛ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالتْ: "سُحِرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقال اللَّيْثُ: كَتَبَ الَيَّ هِشَامٌ أَنَّهُ سَمِعَهُ وَوَعَاهُ عَنْ أبيهِ، عَنْ عَائِشة قالتْ: سُحِرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَتَّى كَانَ يُخَيَّلُ الِيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا يَفْعَلُهُ، حَتَّى كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ دَعَا وَدَعَا، ثُمَّ قال: "أَشَعَرْتِ أَنَّ اللَّهَ أَفْتَانِي فِيمَا فِيهِ شِفَائِي، أَتَانِي رَجُلَانِ: فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي وَالآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ، فَقال أَحَدُهُمَا لِلْآخَرِ مَا وَجَعُ الرَّجُلِ؟ قال: مَطْبُوبٌ، قال: وَمَنْ طَبَّهُ؟ قال لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ، قال: فِيمَا ذَا، قال: فِي مُشُطٍ وَمُشَاقَةٍ وَجُفِّ طَلْعَةٍ ذَكَرٍ، قال فَأَيْنَ هُوَ؟ قال: فِي بِئْرِ ذَرْوَانَ" فَخَرَجَ الِيْهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ رَجَعَ فَقال لِعَائِشَةَ حِينَ

---

[1] ٢٣. البخاري، محمد بن إسماعيل. (١٤٢٢هـ). الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (ط١،ج٦)، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ص ١٩٠؛ حيث:٥٠١٦.

[2] البخاري :٨/٧٠(٦٣١٩)

[3] البخاري: ٤/١٧٢٣(٢١٩٢

رَجَعَ: «نَخْلُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ» فَقُلْتُ اسْتَخْرَجْتَهُ؟ فَقَالَ: «لاَ، أَمَّا أَنَا فَقَدْ شَفَانِي اللَّهُ، وَخَشِيتُ أَنْ يُثِيرَ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ شَرًّا» ثُمَّ دُفِنَتِ البِئْرُ [1].

وجاء في سبب نزول المعوذتين "فانتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا عائشة ما شعرت أن الله أخبرني بدائي، ثم بعث عليا والزبير وعمار بن ياسر فنزحوا ماء تلك البئر كأنه نقاعة الحناء، ثم رفعوا الصخرة وأخرجوا الجف، فإذا هو مشاطة رأسه وأسنان مشطه، وإذا وتر معقد فيه أحد عشر عقدة مغروزة بالابر، فأنزل الله تعالى سورتي المعوذتين، فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة، ووجد رسول الله صلى الله عليه وسلم خفة حتى انحلت العقدة الأخيرة، فقام كأنما نشط من عقال" [2]. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أُنْزِلَتْ عَلَيَّ سُورَتَانِ، فَتَعَوَّذُوا بِهِنَّ، فَإِنَّهُ لَمْ يُتَعَوَّذْ بِمِثْلِهِنَّ، يَعْنِي المُعَوِّذَتَيْنِ [3]

المطلب الثالث :نموذج الأمن النفسي في معركة بدر:

قال تعالى: "وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢٣) إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ (١٢٤) بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ (١٢٥) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (١٢٦)" [آل عمران:١٢٥].

لقد ضرب المؤمنون يوم بدر أرفع مثال للعبودية، فكانوا محلاً لحصول الأمن النفسي بأروع صوره متمثلة بأحوال الطمأنينة والقوة والتثبت، وزوال الخوف على الدين والنفس والعرض في أصعب الظروف واحلكها؛ حيث " كَانَ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ بَدْرٍ فِي قِلَّةٍ وَذِلَّةٍ مِنَ الضَّعْفِ وَالْحَاجَةِ فَلَمْ يَكُنْ لَهُمُ اعْتِمَادٌ إِلَّا عَلَى اللهِ - تَعَالَى - وَمَا وَهَبَهُمْ مِنْ قُوَّةٍ فِي أَبْدَانِهِمْ وَنُفُوسِهِمْ، وَمَا أَمَرَهُمْ بِهِ مِنَ التَّبَاتِ وَالذِّكْرِ إِذْ قَالَ: إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ [٨: ٤٥] فَبَذَلُوا كُلَّ قُوَاهُمْ وَامْتَثَلُوا أَمْرَ رَبِّهِمْ، وَلَمْ يَكُنْ فِي نُفُوسِهِمِ اسْتِشْرَافٌ إِلَى شَيْءٍ مَا غَيْرَ نَصْرِ اللهِ وَإِقَامَةِ دِينِهِ وَالذَّوْدِ عَنْ نَبِيِّهِ لَا فِي أَوَّلِ الْقِتَالِ وَلَا فِي أَثْنَائِهِ، فَكَانَتْ أَرْوَاحُهُمْ بِهَذَا الْإِيمَانِ وَهَذَا الصَّفَاءِ قَدْ عَلَتْ وَارْتَقَتْ حَتَّى اسْتَعَدَّتْ لِقَبُولِ الْإِلْهَامِ مِنْ أَرْوَاحِ الْمَلَائِكَةِ وَالتَّقْوَى بِنَوْعٍ مَا مِنَ الِاتِّصَالِ بِهَا" [4].

---

[1] البخاري، ١٤٢٢هـ: حديث رقم ٣٢٦٨

[2] النيسابوري، أبو الحسن علي بن أحمد. (د.ت). أسباب النزول (ج١)، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، ص ٣١١.

[3] ابن حنبل، ١٩٩٨م: ٥٣١/٢٨، حيث ١٧٢٩٩

[4] ابن عاشور: ٩٤/٤

وكان الشرط العملي لإيمان الفئة المستهدفة بالإمداد هو الصبر والتقوى. يقول الشعراوي:" إن الله هو الذي يعطي المدد، ولكن الذي يستقبل المدد لينتفع به هو القادر على الصبر والتقوى"[1].

وقد جاء الإمداد بعدد يدفع الروع عن النفوس ويمكن الطمأنينة فيها؛ فقد كان " جَيْشَ الْعَدُوِّ يَوْمَ بَدْرٍ أَلْفًا فَوَعَدَهُمُ اللَّهُ بِمَدَدٍ أَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ فَلَمَّا خَشُوا أَنْ يَلْحَقَ بِالْعَدُوِّ مَدَدٌ مِنْ كُرْزِ الْمُحَارِبِيِّ وَعَدَهُمُ اللَّهُ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ أَيْ بِجَيْشٍ لَهُ قَلْبٌ وَمَيْمَنَةٌ وَمَيْسَرَةٌ كُلُّ رُكْنٍ مِنْهَا أَلْفٌ، وَلَمَّا لَمْ تَنْقَشِعْ خَشْيَتُهُمْ مِنْ إِمْدَادِ الْمُشْرِكِينَ لِأَعْدَائِهِمْ وَعَدَهُمُ اللَّهُ بِخَمْسَةِ آلَافٍ، وَهُوَ جَيْشٌ عَظِيمٌ لَهُ قَلْبٌ وَمَيْمَنَةٌ وَمَيْسَرَةٌ وَمُقَدِّمَةٌ وَسَاقَةٌ، وَذَلِكَ هُوَ الْخَمِيسُ، وَهُوَ أَعْظَمُ تَرْكِيبًا وَجَعَلَ كُلَّ رُكْنٍ مِنْهُ مُسَاوِيًا لِجَيْشِ العدوّ كلّه[2]. فكانت البشرى والطمأنينة.

وَالْبُشْرَى خَبَرٌ بِحُصُولِ مَا فِيهِ نَفْعٌ وَمَسَرَّةٌ لِلْمُخْبَرِ بِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ لَمَّا وَعَدَهُمْ بِالنَّصْرِ أَيْقَنُوا بِهِ فَكَانَ فِي تَبْيِينِ سَبَبِهِ وَهُوَ الْإِمْدَادُ بِالْمَلَائِكَةِ طُمَأْنَةً لِنُفُوسِهِمْ لِأَنَّ النُّفُوسَ تَرْكَنُ إِلَى الصُّوَرِ الْمَأْلُوفَةِ.

لِ مَأْنة لِ مْأِنينة السُّكُونُ وَعَدَمُ الِاضْطِرَابِ، وَاسْتُعِيرَتْ هُنَا لِيَقِينِ النَّفْسِ بِحُصُولِ الْأَمْرِ تَشْبِيهًا لِلْعِلْمِ الثَّابِتِ بِثَبَاتِ النَّفْسِ أَيْ عَدَمِ اضْطِرَابِهَا.[3]

وثمار جملة المنافع متحقق بتحصل الأمن في النفوس، وفي النصر الإلهي الجالب لكل صور الأمن التي تحقق إنسانية الإنسان.

المطلب الرابع

قصة أم موسى عليه السلام

إن كثيراً من الانحرافات الفكرية أو السلوكية التي قد لا ترضي حتى فاعلها قد يكون دافعها الخوف من قوة أو جبروت ظالم قائم، وقد جاءت قصة أم موسى عليه السلام ترينا ارتباط الأمن الحقيقي والواقعي بحقيقة العبودية لله عز وجل، الذي بيده قلوب الضعفاء والجبابرة على حدٍ سواء:

قال تعالى: (وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٧) فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ (٨) وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٩) وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١٠) وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١١) وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ

---

[1] نفس المصدر: ١٧٣٥/٣

[2] نفس المصدر: ٧٨/٤

[3] ابن عاشور: ٧٨/٤

يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ (١٢) فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٣)) [القصص: ٧-١٣].

" قال المشركون لرسول الله- صلى الله عليه وسلم: "إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا". فاعتذروا عن عدم إتباعهم الهدى بخوفهم من تخطف الناس لهم، لو تحولوا عن عقائدهم القديمة التي من أجلها يخضع الناس لهم، ويعظمون البيت الحرام ويدينون للقائمين عليه، فساق الله اليهم في هذه السورة قصة موسى وفرعون، تبين لهم أين يكون الأمن وأين تكون المخافة وتعلمهم أن الأمن إنما يكون في جوار الله، ولو فقدت كل أسباب الأمن الظاهرة التي تعارف عليها الناس وأن الخوف إنما يكون في البعد عن ذلك الجوار ولو تظاهرت أسباب الأمن الظاهرة التي تعارف عليها الناس"[١].

وفي قصة أم موسى ما يثبن ذلك قال تعالى: (وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) أي: لا شيء فيه مما يضبط السلوك، فحين ذهبتْ لترمي بالطفل وتذكرت فراقه وما سيتعرض له من أخطار كادت مشاعر الأمومة عندها أن تكشف سِرَّها، وكادت أنْ تسرقها هذه العاطفة. فثبَّتْناها ليكون الأمر عندها عقيدة راسخة لا تطفو على سطح العاطفة "لِتَكُونَ مِنَ المؤمنين"، لان الإيمان هو الذي يجلب لك النفع، ويمنعك من الضار، وإنْ كان فيه شهوة عاجلة لك، فمنعها إيمانُها من شهوة الأمومة في هذا الموقف، ومن ممارسة العطف والحنان الطبيعيين في الأم؛ لأن هذه شهوة عاجلة يتبعها ضرر كبير، فإنْ أحسُّوا أنه ولدها قتلوه. ثم تتحدث الآيات بعد ذلك عن تمهيدات الأقدار للأقدار، فتقول: (وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ المراضع). وقوله سبحانه (فَرَدَدْنَاهُ الى أُمِّهِ) -وسبق أنْ وعدها الله: (إِنَّا رَآدُّوهُ الَيْكِ)- هو أوانُ تحقيق الوعد الأول، وهو بُشْرى بتحقُّق الوعد الثاني (وَجَاعِلُوهُ مِنَ المرسلين) لكن هذا في مستقبل الأيام، وسوف يتحقق أيضاً. وقوله سبحانه: (فَرَدَدْنَاهُ الى أُمِّهِ) يدل على أن الأسباب في يد المسبب سبحانه، فنحن الذين رددناه، لا أخته ولا فرعون؛ لأننا نُسيِّر الأمور على وَفْق مرادنا، ونُمهّد لها الطريق حتى أننا نحول بين المرء وقلبه، ولينفذ قضاؤنا فيه[٢].

إن الإيمان الفعلي بمطلق القوة والقدرة الربانية يحول دون مشاعر القلق والخوف والاضطراب، ويحيلها أمناً وسكينةً، تدفع إلى الحكمة والرشد في الخيار والمسلك.

المطلب الخامس

قصة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مع صاحبه في الغار

حينما يتعلق الأمر بالغايات العليا التي تعهد الله بحفظها على أيدي المثل العليا، يستتبع الأمر حضوراً ربانياً غير اعتيادي لكنه على مرأى ومسمع من البشر،

---

[١] سيد قطب، ١٤١٢هـ:٢٦٧٤/١٧.
[٢] الشعراوي١٤١٨هـ :١٠٨٩٦/١٧

حيث يتجلى الأمن بأعلى صوره؛ معية إلهية وسكينة وطمأنينة كاشفة للمخاوف والأحزان:

قال تعالى: (إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٤٠)) [التوبة: ٤٠]. قال أبو جعفر: هذا إعلامٌ من الله أصحابَ رسوله صلى الله عليه وسلم أنّه المتوكّل بنصر رسوله على أعداء دينه وإظهاره عليهم دونهم، أعانوه أو لم يعينوه، وتذكيرٌ منه لهم فعلَ ذلك به، وهو من العدد في قلة، والعدوُّ في كثرة، فكيف به وهو من العدد في كثرة، والعدو في قلة؟ يقول لهم جل ثناؤه: الا تنفروا، أيها المؤمنون، مع رسولي إذا استنفركم فتنصروه، فالله ناصره ومعينه على عدوّه ومغنيه عنكم وعن معونتكم ونصرتكم؛ كما نصره (إذ أخرجه الذين كفروا) ، بالله من قريش من وطنه وداره (ثاني اثنين) رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر رضي الله عنه، لأنهما كانا اللذين خرجَا هاربين من قريش إذ همُّوا بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم واختفيا في الغار المَعْرُوفِ عِنْدَكُمْ وَهُوَ غَارُ جَبَلِ ثَوْرٍ[1].

إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا أيْ: إِذْ كَانَ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ الَّذِي هُوَ ثَانِيهِ وَهُوَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - حِينَ رَأى مِنْهُ أَمَارَةَ الحُزْنِ وَالجَزَعِ، أَوْ كُلَّمَا سَمِعَ مِنْهُ كَلِمَةً تَدُلُّ عَلَى الخَوْفِ وَالفَزَعِ: لَا تَحْزَنْ. والحُزْنُ انْفِعَال نَفْسِيٌّ اضْطِرَارِيٌّ يُرَادُ بالنَّهْيِ عَنْهُ مُجَاهَدَتُهُ، وَعَدَمُ تَوْطِينِ النَّفْسِ عَلَيْهِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الحُزْنِ وَهُوَ تَالمُ النَّفْسِ مِمَّا وَقَعَ، يَسْتَلْزِمُ النَّهْيَ عَنِ الخَوْفِ مِمَّا يُتَوَقَّعُ، وَقَدْ عَبَّرَ عَنِ المَاضِي بِصِيغَةِ الاسْتِقْبَال (يَقُولُ) لِلدَّلَالَةِ عَلَى التَّكْرَارِ المُسْتَفَادِ مِنْ بَعْضِ الرِّوَايَاتِ، وَلِاسْتِحْضَارِ صُورَةِ مَا كَانَ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ وَالمَكَانِ لِيَتَمَثَّلَ المُخَاطَبُونَ مَا كَانَ لَهَا مِنْ عَظْمَةِ الشَّأْنِ، وَعَلَّلَ هَذَا النَّهْيَ بِقَوْلِهِ: إِنَّ اللهَ مَعَنَا أيْ: لَا تَحْزَنْ؛ لِأَنَّ اللهَ مَعَنَا بالنَّصْرِ وَالمَعُونَةِ وَالحِفْظِ وَالعِصْمَةِ، وَالتَّأْيِيدِ وَالرَّحْمَةِ، وَمَنْ كَانَ اللهُ تَعَالى مَعَهُ بِعِزَّتِهِ التِي لَا تُغْلَبُ وَقُدْرَتِهِ التِي لَا تُقْهَرُ، وَرَحْمَتِهِ التِي قَامَ وَيَقُومُ بِهَا كُلُّ شَيْءٍ، فَهُوَ حَقِيقٌ بالا يَسْتَسْلِمَ لِحُزْنٍ وَلَا خَوْفٍ[2].

يؤكد هذا ما جاء في حديث أبي بكر رضي الله عنه قال: " نظرت إلى أقدام المشركين على رؤوسنا ونحن في الغار فقلت يا رسول الله لو أن أحدهم نظر الى قدميه أبصرنا تحت قدميه فقال : يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما"[3]. إن استشعار العبد معية الله في مختلف ظروفه وأحواله يحقق له شعوراً نسبياً بالأمن والاطمئنان، ويسلب منه المخاوف والأحزان لانتفاء أسبابها مع حضور المعية الإلهية.

---

[1] الطبري، ٢٠٠٠م: ٢٥٩

[2] الحسيني، ١٩٩٠م: ٣٦٩

[3] مسلم: كتاب فضائل الصحابة، بب ١، حديث ٢٣٨١

المبحث الثاني

النماذج السالبة للأمن النفسي في العلاقة مع الله كما يصورها القرآن الكريم

المطلب الاول

تمهيد

يمر عقل الإنسان بحالات مرضية تنحرف به عن مصدر الأمن والاستقرار، فيعيش بالضيق والضنك في كافة مراحل حياته. قال تعالى: (وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى (١٢٦) وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى (١٢٧)) [طه: ١٢٤-١٢٧]. ومن أبرز مظاهر الانحراف التي تهدد امن الإنسان:

لا لالحا: ويضاد الإيمان بوجود الله، ويترتب عليه القلق النفسي، والاضطراب، والحرمان من طمأنينة القلب، وسكون النفس. كيف لا يصيب الملاحدة الهم والغم والقلق وفي داخل كل إنسان أسئلة محيرة، لا يغني التشاغل عنها شيئا إذ لا تلبث أن تعود، وما نراه اليوم من كثرة الانتحارات، وإدمان المخدرات دليل على ذلك[1].

ثانيا لكذ: يقول تعالى: (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٩٦) أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ (٩٧) أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٩٨) أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ (٩٩) أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (١٠٠) تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ (١٠١) وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ (١٠٢)) [الأعراف: ٩٦-٩٩]. في هذه الآيات بيان سنة الله التي جرت بها مشيئته وحققها قدره بالمكذبين في كل قرية أن يأخذ الله المكذبين بالبأساء والضراء لعل قلوبهم ترق وتلين وتتجه الى الله، وتعرف حقيقة إلوهيته وحقيقة عبودية البشر لهذه الإلوهية القاهرة. فإذا لم يستجيبوا أخذهم بالنعماء والسراء، وفتح عليهم الأبواب، وتركهم ينمون ويكثرون ويستمتعون -كل ذلك للابتلاء- حتى إذا انتهى بهم اليسر والعافية الى الاستهتار والترخص، والى الغفلة وقلة المبالاة، وحسبوا أن الأمور تمضي

---

[1] خطاطبة، عدنان مصطفى. (٢٠١١م). مضامين تربوية في العقيدة الإسلامية(رسالة دكتوراه منشورة)، جامعة اليرموك- الأردن، دار الأمل، ص ٢٤٢.

جزافاً بلا قصد ولا غاية، وأن السراء تعقب الضراء من غير حكمة ولا ابتلاء، وأنه إنما أصابهم ما أصاب آباءهم من قبل لأن الأمور تمضي هكذا بلا تدبير أخذهم الله بغتة، وهم سادرون في هذه الغفلة. لم يدركوا حكمة الله في الابتلاء بالضراء والسراء، ولم يتدبروا حكمته في تقلب الأمور بالعباد، ولم يتقوا غضبه على المستهترين الغافلين، وعاشوا كالأنعام بل أضل حتى جاءهم بأس الله. ولو أنهم آمنوا بالله واتقوه لتبدلت الحال، ولحلت عليهم البركات، ولأفاض الله عليهم من رزقه في السماء والأرض، ولأنعم عليهم نعيمه المبارك الذي تطمئن به الحياة، ولا يعقبه النكال والبوار[1].

ثالثا لش "فإنه من يُشرك بالله شيئا من دونه، فمثله في بعده من الهدى وإصابة الحقّ وهلاكه وذهابه عن ربه، مَثل من خرّ من السماء فتخطفه الطير فهلك، أو هوت به الريح في مكان سحيق، يعني من بعيد"[2]. قال تعالى: (وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ) [الحج: ٣١].

بعا لنفا : وهو حالة مرضية ناجمة عن التردد في الاعتقاد والفكر ومؤداه الاضطراب وعدم الاستقرار النفسي، قال تعالى: (مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا [النساء: ١٤٣]. وَالمُذَبْذَبُ اسْمُ مَفْعُولٍ مِنَ الذَّبْذَبَةِ. يُقَال: ذَبْذَبَهُ فَتَذَبْذَبَ. والذَّبْذَبَةُ: شِدَّةُ الاضْطِرَابِ مِنْ خَوْفٍ أَوْ خَجَلٍ، وَهِيَ التِي تَجْرِي فِي عَامِّيَّتِنَا اليَوْمَ، يَقُولُونَ: رَجُلٌ مُذَبْذَبٌ، أَيْ يَفْعَلُ الأَشْيَاءَ عَلَى غَيْرِ صَوَابٍ وَلَا تَوْفِيقٍ. فَقِيلَ: إِنَّهَا مُشْتَقَّةٌ مِنَ الدُّبَّةِ- بِضَمِّ الدَّالِ وَتَشْدِيدِ البَاءِ المُوَحَّدَةِ- أَيِ الطَّرِيقَةِ بِمَعْنَى أَنَّهُ يَسْلُكُ مَرَّةً هَذَا الطَّرِيقَ وَمَرَّةً هَذَا الطَّرِيقَ. ولما كان الذِي يَقْصِدُ المنافق مِنْ فِعْلِهِ إِرْضَاءَ النَّاسِ لَا يَلْبَثُ أَنْ يَصِيرَ مُذَبْذَبًا، إِذْ يَجِدُ فِي النَّاسِ أَصْنَافًا مُتَبَايِنَةَ المَقَاصِدِ وَالشَّهَوَاتِ. وهؤُلاءِ أَحَدُهُمَا إِشَارَةٌ الى المُؤْمِنِينَ، وَالآخَرُ إِشَارَةٌ الى الكَافِرِينَ، والمَعْنَى أَنَّهُمْ أَضَاعُوا الإِيمَانَ وَالانْتِمَاءَ الى المُسْلِمِينَ، وَأَضَاعُوا الكُفْرَ بِمُفَارَقَةِ نُصْرَةِ أَهْلِهِ، أَيْ كَانُوا بِحَالَةِ اضْطِرَابٍ وَهُوَ مَعْنَى التَّذَبْذُبِ[3].

والمنافق لا يرضى لغيره الأمن والسلام والاستقرار فهم كما قال تعالى فيهم: (وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا (٨٣)) [النساء: ٨٣]. وَإِذا جاءَهُمْ يعني المنافقين شيء من الأمر يسر المُؤْمِنِين من الفتح والخير، قصروا عما جاءهم من الخير، وإذا جاءهم بلاء أو

---

[1] سيد قطب، ١٤١٢هـ، ٢٥٧/٣

[2] الطبري، ٢٠٠٠م:٦٢٠/١٨

[3] التونسي، محمد الطاهر بن محمد. (١٩٨٤م). التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» (ج٥)، تونس: الدار التونسية للنشر، ص٢٤٢.

شدة نزلت بالمؤمنين أذاعُوا بهِ يعني أفشوه فإذا سَمِع ذَلِكَ المسلمون كاد أن يدخلهم الشك، نزلت فِي أناس كانوا يحدثون أنفسهم بالشرك[1]

خامسا المعاصي والذنوب وهي "بمَنْزِلَة الأخلاط الرَّديئَة فِي البدن وَمثل الدغل فِي الزَّرْع فَإِذا استفرغ البدن من الأخلاط الرَّديئَة كاستخراج الدَّم الزَّائِد تخلصت القُوَّة الطبيعية واستراحت فينمو البدن. وَكَذَلِكَ القلب إذا تاب من الذُّنُوب كَانَ استفراغا من تخليطاته حَيْثُ خلط عملا صَالحا وَآخر سيْئاً فَإِذا تَابَ من الذُّنُوب تخلصت قُوَّة القلب وإراداته للأعمال الصَّالحَة واستراح القلب من تِلْكَ الحَوَادِث الفَاسِدَة التِي كَانَت فِيهِ"[2]. وفيما يلي نماذج عملية لبعض صور الانحرافات السالبة للأمن النفسي:

المطلب الثاني

نموذج أصحاب الجنة

إن الإيمان بالله سبحانه بما ينعكس في النفوس من معاني الأمن والاطمئنان، يدفع الى تأسيس العلائق الأخرى– الإنسان والكون والدنيا والآخرة- على ما يشيع معاني الأمن ويؤكدها: فالإيمان بالله سبحانه-مثلاً- يقتضي إنشاء شبكة العلاقات الاجتماعية على العدل والإحسان والإتقان، لتكون الثمار الثقة والحب والأمان. فلا نعجب عندئذ أن يوجه النبي صلى الله عليه وسلم إيمان العبد ليتجسد في ثقافة تشيع معاني الأمن والسلام، قال صلى الله عليه وسلم: "لَنْ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَنْ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ تَحَابُّوا، وَلَنْ يُؤْمِنَ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَأْمَنَ جَارُهُ بَوَائِقَهُ"[3]. وقال صلى الله عليه وسلم: "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُحْسِنْ الى جَارِهِ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ"[4]. وقال: "الخَلْقُ عِيَال اللَّهِ، وَأَحَبُّهُمْ الى اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ لعياله"[5].

وقد ضرب الله لنا مثل أصحاب الجنة، حيث ضعف إيمان هؤلاء عن مثل هذه القيم فجاء التأديب الرباني بحرمانهم الأمن على ثمارهم، قال تعالى في تفصيل هذا المثل: (إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (١٧) وَلَا يَسْتَثْنُونَ (١٨) فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (١٩) فَأَصْبَحَتْ

---

[1] البلخي، أبو الحسن مقاتل بن سليمان. (١٤٢٣هـ). تفسير مقاتل بن سليمان (ط١،ج١)، تحقيق عبد الله محمود شحاته، بيروت: دار إحياء التراث، ص ٣٩٣.

[2] ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد. (١٣٩٩هـ). أمراض القلب وشفاؤها (ط٢،ج١)، القاهرة: المطبعة السلفية، ص ٥.

[3] مسلم، كتاب الإيمان، بب٢٢، حيث ٩٣

[4] البخاري، ١٩٨٩م

[5] ٥٤. الطبراني، سليمان بن أحمد. (د.ت). المعجم الكبير (ط٢،ج١٠)، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ص ٨٦، حيث ١٠٣٣.

كَالصَّرِيمِ (٢٠) فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ (٢١) أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ (٢٢) فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ (٢٣) أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ (٢٤) وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ (٢٥) فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ (٢٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٢٧) قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ (٢٨) قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٢٩) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ (٣٠) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ (٣١) عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ (٣٢) كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٣٣)) [القلم]

قوله تعالى{إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ} أي اخْتَبَرْنَاهُمْ {كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ} وَهِيَ الْبُسْتَانُ الْمُشْتَمِلُ عَلَى أَنْوَاعِ الثِّمَارِ وَالْفَوَاكِهِ، {إِذْ أَقْسَمُواْ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ} أَيْ حَلَفُوا لَيَجُذُّنَّ ثَمَرَهَا لَيْلًا، لِئَلَّا يَعْلَمَ بِهِمْ فَقِيرٌ ولا سائل، وَلَا يَتَصَدَّقُوا مِنْهُ بِشَيْءٍ، {وَلاَ يَسْتَثْنُونَ} أَيْ فيما حلفوا به، {فطاف عليهم طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ} أَيْ أَصَابَتْهَا آفَةٌ سَمَاوِيَّةٌ، {فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ} قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أي كالليل الأسود، وقال السدي: مِثْلَ الزَّرْعِ إِذَا حُصِدَ أَيْ هَشِيمًا يَبَسًا، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِيَّاكُمْ وَالْمَعَاصِيَ، إِنَّ الْعَبْدَ لَيُذْنِبُ الذَّنْبَ فَيُحْرَمُ بِهِ رِزْقًا قَدْ كان هيء لَهُ» ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ فَأَصْبَحَتْ كالصريم} (أخرجه ابن أبي حاتم). قَدْ حُرِمُوا خَيْرَ جَنَّتِهِمْ بِذَنْبِهِمْ، {فَتَنَادَوْاْ مُصْبِحِينَ} أي وَقْتُ الصُّبْحِ نَادَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا لِيَذْهَبُوا إِلَى (الجذاذ) أي القطع، {أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ} أَيْ تُرِيدُونَ الصِرَامَ، قَالَ مُجَاهِدٌ: كَانَ حَرْثُهُمْ عِنَبًا، {فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ} أَيْ يَتَنَاجَوْنَ فِيمَا بَيْنَهُمْ، بِحَيْثُ لَا يُسْمِعُونَ أَحَدًا كَلَامَهُمْ، ثُمَّ فسر عَالِمُ السِّرِّ وَالنَّجْوَى مَا كَانُوا يَتَخَافَتُونَ بِهِ، فقال تعالى: {فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ أن لاَّ يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِّسْكِينٌ} أَيْ يَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ لَا تمكنوا اليوم فقيراً يدخلها عليكم.[1] فَلَمَّا جَاءُوا جَنَّتَهُمْ وَجَدُوهَا مُسْوَدَّةً قَدْ أَصَابَهَا مَا يُشَبِّهُ الْاحْتِرَاقَ فَلَمَّا رَأَوْهَا بِتِلْكَ الْحَالَةِ عَلِمُوا أَنَّ ذَلِكَ أَصَابَهُمْ دُونَ غَيْرِهِمْ لِعَزْمِهِمْ عَلَى قَطْعِ مَا كَانَ يَنْتَفِعُ بِهِ الضُّعَفَاءُ مِنْ قَوْمِهِمْ وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ رَجَاءَ أَنْ يُعْطِيَهُمْ خَيْرًا مِنْهَا.[2] والأمر ليس مقصوراً على أهل الجنة، بل إن كل من يتعرض للبلوى (أي الاختبار) بالنعم ثم لا يشكر بقلبه وجوارحه فيعترف بفضل المنعم ، ويذعن لشرعه قد تسلب منه النعم تأديباً؛ لعله يستيقظ من غفلته، ثم يؤوب مصححاً مسار الفكر والعمل.

يؤيد هذا قوله تعالى" إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة" وَالْبَلْوَى هُنَا بِالْخَيْرِ فَإِنَّ اللَّهَ أَمَدَّ أَهْلَ مَكَّةَ بِنِعْمَةِ الْأَمْنِ، وَنِعْمَةِ الرِّزْقِ، وَجَعَلَ الرِّزْقَ يَأْتِيهِمْ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ، وَيَسَّرَ لَهُمْ سُبُلَ التِّجَارَةِ فِي الْآفَاقِ بِنِعْمَةِ الْإِيلَافِ برحْلَةِ الشِّتَاءِ وَرِحْلَةِ الصَّيْفِ، فَلَمَّا أَكْمَلَ لَهُمُ النِّعْمَةَ بِإِرْسَالِ رَسُولٍ مِنْهُمْ لِيُكْمِلَ لَهُمْ صَلَاحَ أَحْوَالِهِمْ وَيَهْدِيَهُمْ إِلَى مَا فِيهِ النَّعِيمُ الدَّائِمُ فَدَعَاهُمْ وَذَكَّرَهُمْ بِنِعَمِ اللَّهِ أَعْرَضُوا وَطَغَوْا وَلَمْ يَتَوَجَّهُوا إِلَى النَّظَرِ فِي

---

[1] ابن كثير:٨/١٩٥

[2] مصدر سابق، ابن عاشور:٢٩/٨٠

النِّعَمِ السَّالِفَةِ وَلَا فِي النِّعْمَةِ الْكَامِلَةِ الَّتِي أَكْمَلَتْ لَهُمُ النِّعَمِ. فأشبهوا اهل الجنة بِالْإِعْرَاضُ عَنْ طَلَبِ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَعَنْ شُكْرِ نِعْمَتِهِ فَلْحَقَهُمْ مَا لَحِقَ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ مِنَ الْبُؤْسِ بَعْدَ النَّعِيمِ وَالْقَحْطِ بَعْدَ الْخِصْبِ، وَقَدْ حَصَلَ ذَلِكَ بَعْدَ سِنِينَ إِذْ أَخَذَهُمُ اللَّهُ بِسَبْعِ سِنِينَ بَعْدَ هِجْرَةِ النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَدِينَةِ.[1]

المطلب الثالث

نموذج قارون

إن العدل الإلهي يقتضي -في خلق الإنسان – إشباع حاجات الوجود، غير إنه وجود راق بعيد عن البهيمية مضبوط بالقيم السامية. فالمال والملك والعلم ..وغيرها حاجات فطرية يمنهج الشارع اشباعها وتنظيمها وضبطها على نحو يحقق للإنسان الفلاح في دار دنياه وآخرته.

و"تجيء قصة قارون لتعرض سلطان المال والعلم، وكيف ينتهي بالبوار مع البغي والبطر، والاستكبار على الخلق وجحود نعمة الخالق. وتقرر حقيقة القيم، فترخص من قيمة المال والزينة إلى جانب قيمة الإيمان والصلاح مع الاعتدال والتوازن في الاستمتاع بطيبات الحياة دون علو في الأرض ولا فساد".[2]

إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (٧٦) وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧) قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ (٧٨) فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٧٩) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ (٨٠) فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ (٨١) وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (٨٢) تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (٨٣)) [القصص]

لقد كان قارون ابن عم موسى {فبغى عَلَيْهِمْ} أي تجبر وتكبر على قومه، واستعلى عليهم بسبب ما منحه الله من الكنوز والأموال.فلقد أعطي من الأموال الوفيرة، والكنوز الكثيرة ما يثقل على الجماعة أصحاب القوة حمل مفاتيح خزائنه لكثرتها وثقلها فضلاً عن حمل الخزائن والأموال. {إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لاَ تَفْرَحْ} أي لا تأشر ولا تبطر {إِنَّ الله لاَ يُحِبُّ الفرحين} أي لا يحب البطرين الذين لا يشكرون الله

---

[1] نفس المصدر: ٧٩/٢٩

[2] قطب؛ مصدر سابق

على إنعامه، ويتكبرون بأموالهم على عباد الله[1]، ثم أتموا نصيحتهم قائلين: (وَابْتَغِ فِيما آتاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ) أي اطْلُبْ فِيمَا أَعْطَاكَ اللَّهُ مِنَ الدُّنْيَا الدَّارَ الْآخِرَةَ وَهِيَ الْجَنَّةَ، فَإِنَّ مِنْ حَقِّ الْمُؤْمِنِ أَنْ يَصْرِفَ الدُّنْيَا فِيمَا يَنْفَعُهُ فِي الْآخِرَةِ لَا فِي التَّجَبُّرِ وَالْبَغْيِ. (وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيا) : قَالَ قَتَادَةُ: أي الْحَلَالَ. (وَأَحْسِنْ كَما أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ) أَيْ أَطِعِ اللَّهَ وَاعْبُدْهُ كَمَا أَنْعَمَ عَلَيْكَ.[2] غير إنه استبدل الطاعة بالعصيان وأجاب عَنْ مَوْعِظَةِ وَاعِظِيهِ مِنْ قَوْمِهِ: مَا أُوتِيتُ الْمَالَ الَّذِي ذَكَرْتُمُوهُ فِي حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ إِلَّا فِي حَالِ تَمَكُّنِي مِنْ عِلْمٍ رَاسِخٍ، فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ مِنَ الْعِلْمِ عِلْمَ أَحْكَامِ إِنْتَاجِ الْمَالِ مِنَ التَّوْرَاةِ، أَيْ أَنَا أَعْلَمُ مِنْكُمْ بِمَا تَعِظُونَنِي بِهِ، وَقَدْ كَانَ قَارُونُ مَشْهُورًا بِالْعِلْمِ بِالتَّوْرَاةِ وَلَكِنَّهُ أَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ. فَأَرَادَ بِهَذَا الْجَوَابِ قَطْعَ مَوْعِظَتِهِمْ. وَقَوْلُهُ (أَوَلَمْ يَعْلَمْ) الْآيَةَ إِقْبَالٌ عَلَى خِطَابِ الْمُسْلِمِينَ. وَالْهَمْزَةُ فِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ لِلِاسْتِفْهَامِ الْإِنْكَارِيِّ التَّعْجِيبِيِّ تَعْجِيبًا مِنْ عَدَمِ جَرْيِهِ عَلَى مُوجِبِ عِلْمِهِ بِأَنَّ اللَّهَ أَهْلَكَ أُمَمًا عَلَى بَطَرِهِمُ النِّعْمَةَ وَإِعْجَابِهِمْ لِقُوَّتِهِمْ وَنِسْيَانِهِ حَتَّى صَارَ كَأَنَّهُ لَمْ يَعْلَمْهُ. وَجُمْلَةَ وَلا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ تَذْيِيلٌ لِلْكَلَامِ فَهُوَ اسْتِئْنَافٌ وَلَيْسَ عَطْفًا عَلَى أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مَنْ قَبْلَهُ. وَالسُّؤَالُ الْمَنْفِيُّ السُّؤَالُ فِي الدُّنْيَا وَلَيْسَ سُؤَالَ الْآخِرَةِ. وَالْمَعْنَى: يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ السُّؤَالُ كِنَايَةً عَنْ عَدَمِ الْحَاجَةِ إِلَى السُّؤَالِ عَنْ ذُنُوبِهِمْ فَهُوَ كِنَايَةٌ عَنْ عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى بِذُنُوبِهِمْ، وَهُوَ كِنَايَةٌ عَنْ عِقَابِهِمْ عَلَى إِجْرَامِهِمْ. وَالْكَلَامُ تَهْدِيدٌ لِلْمُجْرِمِينَ لِيَكُونُوا بِالْحَذَرِ مِنْ أَنْ يُؤْخَذُوا بَغْتَةً، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ السُّؤَالُ بِمَعْنَاهُ الْحَقِيقِيِّ، أَيْ لَا يُسْأَلُ الْمُجْرِمُ عَنْ جُرْمِهِ قَبْلَ عِقَابِهِ لِأَنَّ اللَّهَ قَدْ بَيَّنَ لِلنَّاسِ عَلَى أَلْسِنَةِ الرُّسُلِ بِحَدَّيِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَأَمْهَلَ الْمُجْرِمَ فَإِذَا أَخَذَهُ أَخَذَهُ بَغْتَةً وَهَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى حَتَّى إِذا فَرِحُوا بِما أُوتُوا أَخَذْناهُمْ بَغْتَةً فَإِذا هُمْ مُبْلِسُونَ [الْأَنْعَام: ٤٤][3]

وانتقال الخطاب عن قارون الى المحل المقصود بالخطاب القرآني بيانٌ للسنة الجارية في اخذ الظالم وإهلاكه كلما بطر وجحد، وأنكر نعم الله عليه. وفي هذا تهديد لأمن المجرم بزوال ما بين يديه مهما اوتي من ظواهر القوة والسلطان.

ثم إن قارون تمادى في غطرسته وغيِّه فخرج قارون على قومه في أظهر زينةٍ وأكملها. فلما رآه ضعفاء الإيمان ممن تخدعهم الدنيا ببريقها وزخرفها وزينتها قالوا: يا ليت لنا مثل هذا الثراء والغنى الذي أعطيه أنه لذو نصيب وافرٍ من الدنيا. وقال لهم العقلاء من أهل العلم والفهم والاستقامة ارتدعوا وانزجروا عن مثل هذا الكلام فإن جزاء الله لعباده المؤمنين الصالحين خيرٌ مما ترون وتتمنَّون من حال قارون. ولا يُعطى هذه المرتبة والمنزلة في الآخرة إلا الصابرون على أمر الله. وهذا ما أكدته النهايه المشئومة لقارون {فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأرض} أي جعلنا الأرض تغور به وبكنوزه، جزاءً على عتوه وبطره، وما كان له أحد من الأنصار والأعوان

---

[1] الطبري، ٢٠٠
[2] القرطبي، ١٩٦٤
[3] ابن عاشور، مصدر سابق

يدفعون عنه عذاب الله، وما كان من المنتصرين بنفسه بل كان من الهالكين. وصار الذين تمنوا منزلته وغناه بالأمس القريب بعد أن شاهدوا ما نزل به من الخسف يقولون ندماً وأسفاً على ما صدر منهم من التمني: اعجبوا أيها القوم من صنع الله، كيف أن الله يوسّع الرزق لمن يشاء من عباده - بحسب مشيئته وحكمته - لا لكرامته عليه، ويضيّق الرزق على من يشاء من عباده - لحكمته وقضائه ابتلاءً - لا لهوانه عليه!! قال الزمخشري: {وَيْكَأَنَّ} كلمتان «وَيْ» مفصولة عن «كأنَّ» وهي كلمة تنبيه على الخطأ وتندم، ومعناه أن القوم تنبهوا على خطئهم في تمنيهم منزلة قارون وتندموا وقالوا {لولا أن مَّنَّ الله عَلَيْنَا} أل لولا أنَّ الله لطف بنا، وتفضَّل علينا بالإيمان والرحمة، ولم يعطنا ما تمنيناه {لَخَسَفَ بنَا} أي لكان مصيرنا مصير قارون، وخسف بنا الأرض كما خسفها به {وَيْكَأَنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الكافرون} أي أعجبُ من فعل الله حيث لا ينجح ولا يفوز بالسعادة الكافرون لا في الدنيا، ولا في الآخرة.

ثم يأتي التعقيب المباشر في قوله تعالى {تِلْكَ الدار الآخرة نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأرض وَلاَ فَسَاداً} الإشارة للتفخيم والتعظيم أي تلك الدار العالية الرفيعة التي سمعت خبرها، وبلغك وصفها هي دار النعيم الخالد السرمدي، التي فيها ما لا عينٌ رأتْ، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر، نجعلها للمتقين الذين لا يريدون التكبر والطغيان، ولا الظلم والعدوان في هذه الحياة الدنيا {والعاقبة لِلْمُتَّقِينَ} أي العاقبة المحمودة للذين يخشون الله ويراقبونه، ويبتغون رضوانه ويحذرون عقابه[1]

[1] الصابوني، ١٩٩٧م

لخاتمة

توصلت الدراسة الى النتائج الآتية:
أولاً: اشتمال المنهج الرباني عل أساليب تطبيقية تؤدي إلى تحصل الأمن النفسي، وهي متنوعة تنوع الحاجات الإنسانية الممتدة.
ثانياً: الأمن النفسي ثمرة فعلية تتحصل للإنسان نسبياً في ضوء علاقته مع الله بكل تفاصيلها المنهجية.
ثالثاً: الذكر والدعاء سلوك جوارحي ترتبط نتائجه النفسية بعمق الفهم الصحيح والإيمان السليم، ضمن منهجية متكاملة تتوازن فيها تربية جوانب ذات الإنسان الفكرية والقلبية، مع ما يترتب عليها من سلوكات ظاهرية حسية.
رابعاً: أساس حصول الأمن النفسي في علاقة الإنسان مع الله قائم في مجمله على مدى معرفة العبد بالله سبحانه من خلال أسمائه وصفاته ومدى إيمانه بها وعمله بمقتضاها، وقد تجلت عملياً في النماذج السابقة ، ويمكن استخلاصها ضمن الجدولين التاليين:
أ-جدول النماذج الجالبة للأمن النفسي :

صور العلاقة مع الله القلبية والعملية	الصفة الإلهية	صور الأمن النفسي القلبي والعملي
العبودية والخشوع قلبياً الصبر والدعاء عملياً	الرحمة والقدرة	الشفاء من المرض، وزيادة(رد عليه أهله ومثلهم معهم)
الاعتراف بالتوحيد قلبياً التسبيح عملياً	العفو والرحمة والتدبير	النجاة من الغم وإخراجه من بطن الحوت
الاعتراف بكمال الربوبية مع الخشوع قلبيا والدعاء عملياً	طلاقة القدرة الإلهية	وهبه الولد وأصلح له زوجه
ثقة العبد بالله سبحانه قلبياً التعوذ والتحصن به عمليا	الحفظ والتدبير	الأمن من كل المخاوف والشرور من ليل أو سحر أو حسد أو مرض
الولاء لله والثقة بنصره	عزيز حكيم قوي قادر	الامداد بالملائكة، الطمانينة، البشرى.
التوكل على الله والثقة بمعيته	المتوكل بالنصر	تبدد المخاوف والأحزان، السكينة والطمانينة، وتحقق النصر على الاعداء

ب- جدول النماذج السالبة للأمن النفسي:

صور العلاقة مع الله القلبية والعملية	الصفات الإلهية	صور الأمن النفسي السالب القلبي والعملي
جحود النعم ترك الصدقة	شديد العقاب	حرق الثمار الحسرة والندم
الكفر والكبر التفاخر بالمال والزينة	شديد العقاب	الخسف به وبماله الأرض

التوصيات والاقتراحات:

في ضوء نتائج الدراسة توصي الباحثة بما يلي:

أولاً: تضمين هذه الدراسة مناهج التربية الإسلامية وفق منهجية مرحلية واعية لطبيعة المرحلة. تتعدى المحتوى إلى الأنشطة التعليمية ذات العلاقة.

ثانياً : إجراء المزيد من البحوث المتعمقة في جوانب العقيدة الأخرى، مثلاً: الأمن النفسي في الإيمان في القضاء والقدر، وفي اليوم الآخر. كما يمكن إجراء بحوث معمقة في الأمن النفسي في الإيمان بالأسماء والصفات.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

١- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد. (١٣٩٩هـ). أمراض القلب وشفاؤها (ط٢،ج١)، القاهرة: المطبعة السلفية.

٢- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد. (١٩٩٥م). مجموع الفتاوى (ج٩) تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، المدينة النبوية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

٣- ابن حنبل، احمد. (٢٠٠١م). مسند الإمام احمد بن حنبل ط١،ج٢٨)، مؤسسة الرسالة.

٤- ابن عاشور، محمد الطاهر.(١٩٨٤).التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر – تونس.

٥- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر. (١٩٩٦م). مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (ط٣،ج٢)، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي، بيروت: دار الكتاب العربي.

٦- ابن كثير،أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير.(١٩٩٩ م). تفسير القرآن العظيم، (ط٢،ج٨)، دار طيبة للنشر.

٧- البخاري، محمد بن إسماعيل. (١٤٢٢هـ). الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (ط١،ج٦)، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة.

٨- البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٩- البلخي، أبو الحسن مقاتل بن سليمان. (١٤٢٣هـ). تفسير مقاتل بن سليمان (ط١،ج١)، تحقيق عبد الله محمود شحاته، بيروت: دار إحياء التراث.

١٠- التونسي، محمد الطاهر بن محمد. (١٩٨٤م). التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» (ج٥)، تونس: الدار التونسية للنشر.

١١- جان، نادية سراج،(٢٠٠٨)." الشعور بالسعادة وعلاقته بالتدين والدعم الاجتماعي والتوافق الزواجي والمستوة الاقتصادي والحالة الصحية"، مجلة دراسات نفسية، (مج١٨/عدد٤).

١٢- الجيوسي، عبد الله بن محمد.(١٤٣٠ه)." الأمن النفسي في القرىن الكريم وأثره على فكر الإنسان"، المؤتمر الطني الأول للامن الفكري، كرسي الأميلر نايف بن عبد العزيز لدراسات الأمن الفكري بجامعة الملك سعود.

١٣- الحسيني، محمد رشيد بن علي رضا. (١٩٩٠م). تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) (ج١٠)، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
١٤- خطاطبة، عدنان مصطفى. (٢٠١١م). مضامين تربوية في العقيدة الإسلامية(رسالة دكتوراه منشورة)، جامعة اليرموك- الأردن، دار الأمل.
١٥- الشعراوي، محمد متولي. (١٤١٨هـ). الخواطر (ج١٧)، مطابع أخبار اليوم.
١٦- الصابوني، محمد علي . (١٩٩٧ م).صفوة التفاسير، (ط١، ج٢)، دار الصابوني: القاهرة.
١٧- الطبراني، سليمان بن أحمد. (د.ت). المعجم الكبير (ط٢،ج١٠)، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، القاهرة: مكتبة ابن تيمية.
١٨- الطبري، محمد بن جرير. (٢٠٠٠م). جامع البيان في تأويل القرآن (ط١،ج١٨)، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة.
١٩- عقل، وفاء علي. (٢٠٠٩م). الأمن النفسي وعلاقته بمفهوم الذات لدى المعاقين بصرياً، رسالة دكتوراه غير منشورة، الجامعة الإسلامية - غزة.
٢٠- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد. (١٩٦٤م). الجامع لأحكام القرآن (ط٢،ج١٥)، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، .
٢١- قطب، سيد. (١٤١٢هـ). في ظلال القرآن (ط١٧). بيروت: دار الشروق.
٢٢- مسلم، مسلم بن الحجاج. (د.ت). المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (ج٤)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
٢٣- النيسابوري، أبو الحسن علي بن أحمد. (د.ت). أسباب النزول (ج١)، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع.
٢٤- اليبرودي، انشراح أحمد توفيق، (٢٠١٦)، الأمن النفسي في العلاقة مع الله كما يصوره القرآن الكريم،المجلة العربية للدراسات الأمنية،ص ١٦٣-١٩٤.